الباب الرابع

قضايـــا مهمَّـــة

الأولى: الخطاب الديني بين التكليف والالتزام والتطوع :

أيهما أجدَىٰ وأكثر نفعًا، وأكبر تأثيرًا في حياة الناس: الخطيب والواعظ المتطوِّع ابتغاء وجه الله تعالىٰ، أَو الموظف المحكوم والمأمور مِنْ مديره ورئيسه؟!

وهذه قضية شائكة ومتداخلة، حيث أصبح الوعظ والخطابة مهنة مِنْ ضمن المِهَن، وتآكلت وأُكِلَت أوقاف المسلمين التي كانت للعلم والعلماء، وتشابكت مطالب الحياة وقسوتها وغلاء الأسعار وكثرة الطلبات حتىٰ أثَّرت علىٰ الكلمة ومستقبل هؤلاء.

والعلماء إذا لم يتوفر لهم مطالب الحياة الأساسية، والطُمأنينة والأمان فسوف يخرج الكلام مبتورًا مكلومًا، والصواب أنْ تعود أوقاف المسلمين لهيئة غير حكومية يُشرِف عليها كبار العلماء والدعاة.

❁ ❁ ❁

الثانية: الخطاب الدينى وعلامات الساعة وفتن آخر الزمان:

في أحيان كثيرة يتناول الناس هذه القضايا حتىٰ تكون عاملًا مثبِّطًا لهمم الناس ومؤثِّرًا علىٰ مستقبلهم وجهدهم بالسَّلبية، وذلك ما حدث في ظل أحداث العراق وأفغانستان، حتىٰ استسلم كثير من المستمعين لهذا الخطاب بأنَّ ذلك مِنْ علامات الساعة وفتن آخِر الزمان، وأدىٰ ذلك إلىٰ تثبيط الهمم والاستسلام، واستكمال احتلال العراق وأفغانستان.

إن تناول مثل هذه القضايا يجب أن يكون تناولًا بأسلوب وطريقة تُحيي الأمَّةَ وتُوقظها مِنْ غفلتها، وتجعلها تعدُّ العُدَّة وتستعد لمواجهة هذه الطوارئ، وتلك الفِتن.

❁ ❁ ❁

الثالثة: الخطاب الديني، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

سبق الحديث عن ذلك، ولكننا نذكره هنا لأهميته، حيث إنه سبب في:

١- استمرار وجود هذه الأمَّة.

٢- أن أمَّتنا هي خير أمَّة أخرجت للناس.

٣- وصول الأمَّة إلى برِّ الأمان، وحفظها مِنْ عذاب الله تعالى.

٤- الإصلاح والأخذ على يَدِ المعوج والفاسد.

٥- تحقيق الأمن لها والأمان.

٦- وحدتها وتماسكها وترابطها.

٧- رحمة الله تعالى لها.

٨- الدعوة إلى الله تعالى بالعمل على تحقيق مجتمع مترابط متماسك بالفضيلة، ومَحميٍّ مِنَ الرذيلة وأصحابها والدعاة إليها.

٩- التميُّز عَنْ أهل الكتاب وغيرهم؛ لأنَّهم لا يتناهون عن منكر فعلوه.

١٠- زيادة الدين في قلب العبد المؤمن، وغَيرته على حُرُمات الله تعالى، وعلامة على محبته الصادقة له.

❁ ❁ ❁

▫ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى تسعة أشياء:

١- العلم: لأنَّ الجاهل لا يُحسن الأمر بالمعروف، ولا يستطيع أَنْ يفُرِّق بين المعروف ودرجاته، ولا بين المنكر ودرجاته.

٢- الحكمة: لأنَّ الأمر بالمعروف يجب أَنْ يكون بالمعروف، والنهي عن المنكر يجب ألَّا يؤدي إلى منكرٍ أشدَّ منه.

٣- الإخلاص: أَنْ يقصد به وجه الله تعالى، وإعزاز الدين، ولا يكون لِحَمِيَّةِ نفسه، لأنه إذا كان لحمية نفسه خذله الله تعالى ولم يُعِنه عليه.

٤- الشفقة على مَنْ يأمر: واللِّين والتودُّد أحيانًا، وإظهار الغضب أحيانًا أخرى حسب الحالة التي يراها مناسبة، ودرجة إيمان مَنْ يأمره.

المهمُّ ألَّا يكون غليظًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه].

٥- الصبر: أنْ يكون صبورًا حليمًا. قال **لقمان** لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧].

٦- العمل بما يأمر: أنْ يكون عاملًا بما يأمر به لكيلا يُعيَّر به، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤].

٧- الواقع: أنْ يعرف موقعه ومكانته حتى يتبين له الأفضل: اليد أو اللسان أو القلب، والزمن المناسب لكلٍّ منهم.

٨- التكرار: أن يكرر الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ولاييأس حتى لا يكون مثل بني إسرائيل فقد ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٩].

٩- الاستعانة بالله تعالى: وتعلُّق القلب به، والتوكُّل عليه، واليقين فيه، والدعاء الخالص الصادق له أنْ يُوفِّقه ويعينه في هداية الناس وتحويل واقعهم إلى الأفضل، وتغيير مسار حياتهم مِنَ المعاصي إلى الطاعات، وأنْ يكون سببًا في هدايتهم وصلاحهم ابتغاء وجه تعالى.

مع يقينه وعلمه بأنه ليس عليهم بمصيطر؛ قال تعالى لنبيه : ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية].

❁ ❁ ❁

الرابعة: الخطاب الديني وأثره في التربية والأخلاق والسلوك :

يجب أنْ يكون الخطاب الديني موجَّهًا لخدمة المجتمع، هادفًا إلى الرُقيِّ به، يتعايش مشاكل الناس، ويضع الحلول السليمة الآمنة المطمئنة لهم.

فمن يقضى على الفساد؟ مِنْ: (سرقات، ورشاوَى، وغشٍّ، وخيانة)؟

وَمَنْ يقضي على الجرائم، مِنْ: (قتل، ومخدِّرات وسموم بيضاء، وجريمة منظَّمة)؟

وَمَنْ يقضي على الاستبداد الإداري والسياسي والمحسوبية والجاسوسية والعمل لصالح الأعداء ؟

وقد يقول قائل: هذه اختصاصات الأمن في كل دولة؟!

أقول - وبالله التوفيق -: لا خلاف حول ذلك؛ لكن الأمن عاجز في كل دولة مسلمة عن تحقيق ذلك، إذا لم يُشاركه الدعاة والعلماء؛ لأنَّ تأثيرهم في الناس أكبر وأوسع، واحتكاكهم بهم أصلح وأطيب، والأمن لا يعرف إلَّا الحبس والزجر والسجن والمحاكم.

وَمَنْ يصلح إذا فسد رجال الأمن وقبِلوا الرشاوي، وتدخلت القرابة والمحسوبية والواسطة؟!

وَمَنْ يتولى مهام التربية والإرشاد، وترسيخ أنماط السلوك الإنساني الإيجابية، وطرد السلبية منها؟!

ومَنْ يعمل على ترسيخ مفاهيم برِّ الوالدين، واحترام الكبير، وتبجيل العلماء، والعطف على الصغير، والتعاون على البرِّ والتقوى، ودعوة الناس إلى الكرم والعمل الإسلامي والإنساني، وحثِّهم على الخير وصِلَة الأرحام؟!

ومَنْ يُعد الأمَّة نفسيًّا ومعنويًّا للدفاع عن عقيدتها وأرضها؟!

لا شَكَّ أَنَّ أصحاب الخطاب الديني هم أَولى الناس لهذه المهام.

❁ ❁ ❁

الخامسة: الخطاب الديني وتصحيح المفاهيم (أصول الفهم):

في هذا الزمان تنتشر بين المسلمين كثير مِنَ المفاهيم المغلوطة والأفكار المشبوهة، والشبهاتُ التي ينشرها المغرضون والذين في قلوبهم مرض حول الإسلام والقرآن والنبيِّ الخاتم ﷺ.

● وعلى سبيل المثال: الدعاوَى الخبيثة المنتشرة هذه الأيام لجعل الدين قاصرًا على الأخلاق، أو حصر الدين في العلاقة بين العبد وربه فقط، أو داخل المسجد للصلاة، أو تأويل النصوص تأويلًا يلائم ما عليه الناس مِنْ فساد ومخالفات، أو لإرضاء أهواء غير المسلمين مِنْ أصحاب المصالح المتبادلة، والمنافع المشتركة الخاصة بينهم.

● ومثال آخر: تحديد سِنِّ المعاش وسنِّ الزواج دون النظر إلى سنِّ التكليف والبلوغ، مما يضيِّع فترات من العمر طويلة دون إنتاج وعطاء.

انظر لقولِ النَّبيِّ ﷺ: [**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**] (١).

---

(١) أخرجه أحمد، ح (١٢٩٨١)، وصحَّحه الألباني، من حديث أنس ﷺ.

لاحِظْ في هذا الحديث:

- يقوم بزرع فسيلة نخل لا تثمر إِلَّا بعد سنوات مِنْ غرسها، والساعة تقوم بعد دقائق، فهذه دعوة للعمل وترك النتائج على الله ﷻ.

- أهمية الوقت وحسن استغلاله في المفيد والنافع.

- أهمية العمل الدنيويِّ وحسن ختام الحياة به، أليس مِنَ الأولى أن يقول له النَّبي ﷺ: إذا قامت الساعة فاذكر الله أو قم للصلاة مثلًا.

- قيمة أجر العمل وثوابه وإتقانه عند الله تعالى، والتوازن بين أعمال الدنيا الآخرة.

فمَنْ يُغير المفاهيم المتراكمة منذ فترة مِنَ الزمان، والتي جعلت بعض المسلمين ينظرون للغرب نظرة سيادة وإجلال، وإلى أنفسهم نظرة ذلّ واحتقار؟!، وهذه انتكاسة في الفطرة وفي الإنسانية، وقلب للحقائق، وجهل بحقيقة الأشياء وحكم الله فيها.

❁ ❁ ❁

السادسة: الخطاب الديني الذي وصفه الله تعالى لنا:

فمِنْ أهم مهام الخطاب الديني ترسيخ الهُوية الإسلامية، والتأكيد على تميُّزِنا في العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والسلوكيات، والجهاد، والزكوات والصدقات، وعلى التوازن بين الجسد والروح، والدين والدنيا، والدنيا والآخرة، والعمل والعبادة، والجهاد والدعوة والعلم والعقيدة.

هويتنا أو الهاوية: إِنْ لم يكن لنا هوية إسلامية صحيحة نتميز بها، ونعتز،

ونفخر بها، فليس أمامنا إِلَّا التردِّي والهاوية (١).

قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة].

❁ ❁ ❁

السابعة: الخطاب الديني والتوعية:

أليس للعلماء والدعاة دورٌ كبير ومهمٌّ في توعية الناس وترشيد الاستهلاك، وعدم التبذير في استعمال الثروات مِنْ مالٍ أَو كهرباء أَو ماء وغيرها.

وفي ترسيخ مفهوم النظام والنظافة والمحافظة على البيئة، وتحقيق العدل، وترسيخ مفاهيمه، ومعرفة الحقوق والواجبات، وكل ذلك مِنْ خلال نصوص الكتاب والسُّنَّة.

بل دعوة الأمَّة إلى التخطيط للمستقبل، والوصول للهدف.

❁ ❁ ❁

الثامنة: الخطاب الديني وتأثره بالفرق والجماعات:

فهناك الخطاب الصوفي، والخطاب السلفي، والخطاب الإخواني، والخطاب الخاص بجماعات الجهاد، والخطاب الشيعي وغيرها.

وكل خطاب له مؤيِّدوه ومعارضوه، ويدعو إلى فكره وحزبه وتجمعه أكثر مما يدعو إلى الإسلام نفسه، وغالبًا ما يكون التعصُّب للفكر وللجماعة وللأشخاص أكثر مِنَ التعصُّب للحق.

ولا شَكَّ في أن غياب الأمَّة الإسلامية بمفهومها الشامل المتكامل الوحدوي له

---

(١) انظر كتابي الدكتور/ محمد إسماعيل المقدم: «علوّ الهمَّة»، «هُويتنا أو الهاوية»، وكتابنا: «طور نفسك، و غير نمط حياتك».

أعمق الأثر في هذه التعدُّديَة، كما أنَّ الاتجاهات السياسية، وسياسة كل دولة إسلامية في تسييس الدين والتطور الحضاري العلماني مِنْ مصلحتها أنْ يكون الناس أحزابًا وفرقًا وجماعات وشيعًا.

❁ ❁ ❁

التاسعة: الخطاب الديني والتُّهم الموجَّهة إليه:

كالبعد عَنِ الواقع، التكرار، الإطالة، عدم التأهيل، الانحراف به إلى الدعوة إلى جماعة أو فكر معيَّن أو حزب، أو الحديث في الأوهام والخيال والقصص غير الواقعية، البعد عن مخاطبة العقل، غياب القدوة، العصبية، الجدال والتعصب للرأي، الدعوة إلى العنف، التشدُّد، التفريط والإرجاء، الحماس البعيد عن الحكمة، اتخاذها وظيفة رسمية، تورُّطه في حوار العُميان، تأثُّره بالعولمة والبيروقراطية، العزلة عن الناس! إلى غير ذلك مِنَ التهم المنسوبة إليه، وكثير منها واقع ومحسوس وملموس، ويمكن علاج كل هذه الأمور إذا أتيحت الفرصة لمن هم أهلٌ لذلك الخطاب.

وهذا مشاهد في الواقع وأمثلته كثيرة.

فلولا تعرُّض الخطاب الديني وأصحابه وأهله الذين هم أحق به لضغوط سياسية وأمنية ومالية، واغراءات أُخرىٰ لرأَينا فُسحة كبيرة وفُرصة عظيمة في علاج معظم هذه المشاكل، بل لوجدنا مشاركة فعَّالة في حلِّ معضلات ومشاكل الأمَّة.

ولو كانت هذه الحكومات في بلاد المسلمين صالحة رشيدة لما عادتهم وضيَّقت عليهم، ولأحسنت الاستفادة منهم، وخاصة أنهم أصحاب علم وخبرة، ومؤهَّلون لتحمل المسئولية، ولديهم حب وطاقة وعطاء وإخلاص وانتماء

لدينهم، ولوطنهم مما لا يوجد عند مَنْ يدَّعون أَنهم وطنيون وقوميون، وخاصة أنَّ الأمة الإسلامية الآن في أشدِّ الحاجة إليهم لمواجهة الحملات الصليبية المسعورة القادمة، والمد الشيعي الرافضي؟!

لا شَكَّ أَنَّ الاستفادة منهم وخبرتهم في العلوم والتربية والدعوة، أعظم من معاداتهم وتحجيمهم بلا ذنب اقترفوه، أَو إثم وقعوا فيه، أو مخالفة أَو بدعة دَعَوا إليها.

لو أعدنا ترتيب الأوراق، وتنظيم الأمور، ونظرنا بعين الاعتبار لوجدنا أننا في أمسِّ الحاجة إليهم وإلى التعاون معهم، وهذا أفضل آلاف المرات مِنْ كسب عداوتهم أو فقدهم مع خبرتهم وعلمهم وجهودهم.

فمن المستفيد الوحيد ياترى مِنْ هذه العداوة للدين وللدعاة؟! وخاصةً أنَّ الله تعالى وعد وهو لا يُخلِف وعده أبدًا: أنه مَنْ عادى له وليًا فقد آذنه بالحرب.

لماذا لا يمنح الدُّعاة إلى الله، والمتميزون منهم حصانة كتلك الحصانة لأعضاء المجالس التشريعية وغيرهم فهم أولى بها، وأنفع للناس منهم؟ وقتها سوف ترى كيف يُقاوَم الباطل وينحسر، وكيف تقضَى مصالح الناس لوجه الله تعالى.

❁ ❁ ❁

العاشرة: الخطاب الديني، وفقه الواقع والأولويات:

يختلف كثير مِنَ الدُّعاة والوعَّاظ في هذه المسألة، وبعضهم يزيد المسألة فيقسم الإسلام إلى لباب وقشور، وينقسمون إلى قسمين: مؤيد ومعارض، ويلعب العقل والمصلحة والواقع والتطلع إلى المركز والمنصب والشهرة وإرضاء الناس دورًا كبيرًا.

• وأنا أعتقد أنَّ القرآن الكريم وسُنَّة الرسول ﷺ قد حسما هذه المسألة، وفي قصة ابن أمِّ مكتوم ﷺ في سورة «**عبس**» أعظم دليل في الردِّ على هؤلاء.

• والمخاطر التي كانت تواجه النَّبي ﷺ، أكبر دليل عليها عدد الغزوات والسرايا التي غزاها رسول الله ﷺ وأصحابه، ومع ذلك كانوا لا يقسِّمون الإسلام إلى قشور ولباب، بل لديهم فقه المصالح والمفاسد، والقواعد الفقهية.

• إنَّ المسلم الذي لم يتعوَّد الالتزام بكل أمر ورد إليه أو يبتعد عن كل نهي وصل إليه - صغيرًا كان أو كبيرًا - لن يتعوَّد المهام الجسام، ولن يتربَّى ويصبر عليها.

• إنَّ الإسلام وحدة متكاملة لا يمكن تجزئته أو تقسيمه.

• إنَّ الشيء الصغير يكون سببًا في نجاة العبد يوم القيامة وتكملة ميزان حسناته. وكما ورد: { **لا تَحقِرَنَّ مِنَ المعروفِ شَيئًا وَلَو أَن تَلقَى أَخَاكَ بِوَجهٍ طَلق**} (١).

• **مَنْ الذي يملك تحديد اللباب والقشور؟ ومَنْ له حق بيان وتوضيح فقه الأوليات؟** وهل هي دعوة للتكاسل وترك جزئيات مِنَ الدين حتى يقام الدين؟ وأليس الدين يكتمل بهذه الجزئيات؟! أم هروب مِنَ الالتزام بأشياء مهمة مِنَ الدين بهذه الحجة الواهية؟

حقًّا إننا نعيب على مَنْ يتمسك بشيء مِنَ السُّنَّة، ثم هو يهجرها في خُلُقُه وتعامله، ونعيب على مَنْ يدافع عن السِّواك وهو يأكل أموال الناس بالباطل،

---

(١) أخرجه مسلم ك: «البرِّ والصلة والآداب» ب: «استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء» ح: «٢٦٢٦»، من حديث أبي ذر جندب بن عبد الله ﷺ.

ويماطل في أداء الحقوق، هؤلاء ليسوا بنماذج صالحة إِلَّا لأصحاب الهوىٰ والضلالة، إنما النموذج الذي نريده وندعو إليه هو الذي يتمسك بكل جزئية عرفها في دين الله تعالىٰ سواءًا له أو عليه، ويحترم قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

● ثم اسأل نفسك، واصدق مع ربك، وتابع نيتك؛ **فلمن تترك العمل مِنَ الإسلام بهذه الحجة؟ هل لله ؟ أم لغرض وهوى في نفسك؟**

● حديث: **{ مَا ذِئبَان جَائِعَان ضَارِيَانِ أرسِلَا فِي غَنَم بأَفسد لها مِن حِرصِ المرءِ عَلى المالِ والشَّرف لِدِينهِ }**[1] هو أكبر دليل لنقض فكر هؤلاء.

● والمسألة لا تحتاج إلىٰ كل هذه الضجة حول فقه الأولويات، وخاصّةً أنَّ المسلم إذا تعارض لديه أمران فإنَّ القواعد الفقهية قد نظمت له بأيهما يبدأ. حيث الأكثر وجوبًا مُقدم علىٰ الأقل عند التعارض والأشد حُرمة مُقدم علىٰ الترك علىٰ الأقل منه حُرمة.

ولكن عند عدم التعارض فالالتزام بالأمرين مطلوب، واجتناب النهيين مطلوب.

❁ ❁ ❁

الحادية عشرة: الخطاب الديني وأسلمة العلوم:

لا شَكَّ أَن طريق النهضة يعتمد علىٰ أمرين:

الأول: إصلاح الدين، **والثاني**: إصلاح الدنيا.

فدنيا بلا دين فناءٌ وخراب ودمار للعقل والنفس والصحة والمال.

ودين بلا دنيا يفقد استمراره، في عقول الناس، وينعزل الناس عنه، ولايبقي

---

(١) أخرجه الترمذي ك: «**الزهد**» بـ: «**ما جاء في أخذ المال بحقه**» ح «**٢٣٧٦**» عن كعب بن مالك ﷺ.

منه إلَّا الاسم والرسم.

وهذا ما حدث مع غيرنا، وتميَّزنا نحن به.

أتذكر قصة مَلكِ مِصر والسودان في القرن الماضي عندما أراد أَنْ يُنشيء مدرسة للطب في مدينة الخانكة (بأبي زعبل)، وكلَّف طبيبه الخاص (وهو فرنسي) بهذه المهمة. فقال له الطبيب: لا أجيد ولا أعرف التدريس بالعربية؟

فقال له الملك: نبعث لك بمترجم.

واتَّسعت المدرسة وبدأت الدراسة، وكثر عدد المدرسين الوافدين للتدريس، ورافقهم المترجمون، حتى وضعت خطة لتعليم المدرسين اللغة العربية خلال سنتين، ونجحت مدرسة الطب الأولى في مصر، وخرَّجت أطباء على درجة عالية مِنَ المهارة والكفاءة.

وأرسلت دول شرق آسيا وغيرها الوفود لتتعلم نجاح التجربة في مصر، وظل التعليم يواصل نجاحه باللغة العربية حتى تم الاحتلال الإنجليزي لمصر، وفُرض التعليم باللغة الانجليزية في مدارس الطب، ورحل الاستعمار، وبقي الخلاف حول تعريب العلوم والتكنولوجيا.

❁ ❁ ❁

وانظر حولنا تجد عصابة قد احتلت فلسطين الإسلامية، كانت لغتها قد اندثرت، وتعدَّدت لهجات أفرادها، فقاموا في سنوات معدودة بإحيائها وفرضها في التعليم، وترجمة سائر العلوم والتكنولوجيا إليها. فتقدمت ورجعنا نحن إلى الوراء بسبب التبعيَّة اللغويَّة في العلوم والتكنولوجيا، وكثير مِنْ دول العالم بلغاته المختلفة فعل مثل ذلك.

فما بالنا ولغتنا الأم هي أعظم اللغات، وأكثرها ثراءًا وأجملها وأكثرها إبداعًا وتنوُّعًا وبلاغة، وتلك هي الحقيقة: لغتنا أَو الهاوية.

إن كل مسلم مكلَّف بالعمل والعلم في اتجاهين متوازيين:

الأول: العلم بالتوحيد، والحلال والحرام، وفقه الفرائض والعمل به.

والثاني: أن تكون له مهمَّة يُجيد علومها وإتقانها، ينتفع بها وينفع إخوانه مِنْ ورائها.

وهذا كان حال أصحاب النَّبيِّ ﷺ، كلهم على التوحيد الخالص، وعلى علم وعمل بالحلال والحرام، وفقه العبادات مِنْ صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وصدقة وجهاد، ومع ذلك كان كل واحد منهم بحرًا في الاتجاه الثاني.

فكان **أبو بكر** متميزًا في الحُكم والأَناة والحِلم، وكان **عمر بن الخطاب** متميِّزًا في العدل والقوة في الحق، وكان **خالد بن الوليد** متميِّزًا في الحرب والجهاد، وكان **عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان** متميِّزين في التجارة، وكان **مالك وهلال** متميِّزين في الزراعة، وكان **العبادلة الأربعة** متميِّزين في علوم القرآن والقراءات، وكان **عبد الله بن عباس** متميِّزًا في العلم والفقه، وكان **أبو هريرة** متميِّزًا في الحديث وروايته، وهذا متميِّزًا في الصناعة، وآخر في الجغرافيا والطرق، وآخر في الفلك، وآخر في الطب والرقية، وآخر في علوم البريد والنقل ـ رضي الله عنهم أجمعين.

❁ ❁ ❁

الثانية عشرة: تجديد الدين ومشاكل المجتمع :

١- العنوسة: وعلاجها تيسير الزواج، وتكاتف الأهل والمجتمع في حَلِّها.

٢- البطالة: وحلها في فتح مجالات عمل جديدة، وتشجيع المشاريع الصغيرة، وتقليل منافسة المرأة للرجل في الأعمال.

٣- انتشار الرشوة والمحسوبية والغشِّ والسرقات وعدم إتقان العمل، ويتم ذلك من خلال محورين، الأول: تأهيلي، والثاني: تشريعي.

٤- المنتج الأجنبي والوطني: (عقدة الخواجة).

٥- الديكتاتورية والاستبداد: وعلاجها بإقامة العدل الإلهي، وعدم الشفاعة في الحدود والحقوق.

❁ ❁ ❁

الثالثة عشرة: تجديد الدين والدولة الدينية (١):

الدول الدينية قائمة في العالم، فاليهود والسامية، وأرض الميعاد، والكنيست، ومن النيل للفرات، أليست هذه دولة دينية؟

أمريكا وإعلان رئيسها أنه نائب عن المسيح ويتكلم باسمه، وأنها حرب صليبية؛ أليست هذه دولة دينية؟

الفاتيكان وما يقوم به، أليست هذه دولة دينية ؟

ما الذي يَعيب أن تكون هناك دولة دينية إسلامية كبرىٰ؟!

ليست الدولة الدينية أن يكون الحكم فيها لرجال الدين، وإنْ كان ذلك أصلح وأنفع للناس؛ فهم لن يسرقوا شعوبهم، ولن يخونوا الأمانة، ولن يعملوا لحساب المستعمِر والعدو، ولن..؛ وليس تديُّنهم عقابًا يَحرمهم من حقوق المواطنة والمشاركة، ومع ذلك نقول: إن الدولة الدينية لا تَعني لدينا الانعزالية أو الانطواء أو العنف أو الطائفية؛ إنما تَعني: العدل والحكمة والطُّهر والطَّهارة والتميُّز.

---

(١) راجع هذه المسألة بالتفصيل في كتابنا «لا تؤملوا».

إنها أطول دولة حكمت العالم علىٰ مدار التاريخ، ونشرت العدل والرحمة، لولا الخيانة والأطماع والتنازع علىٰ الدنيا والتنافس فيها والانحراف عن غايات الإسلام.

إذا كان المستقبل لهذا الدين، والغاية منه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣]. فلماذا لا نقيم دولة الإسلام؟

في شتَّىٰ ربوع الأرض لكل دين دولة تحميه وتدافع عنه مِنَ النصرانية واليهودية والبوذية والسِّيخ والهندوس، حتىٰ دين الإلحاد (الشيوعية) له دولة ترعاه وتنافح عنه؛ فإلىٰ متىٰ ستظل الدولة الإسلامية تستحيي مِنْ دينها وتنسحب منه شيئًا فشيئًا؟!

ما العَيب في إقامة دولة الإسلام؟! وما الخطر في ذلك؟! أليست أفضل من الدولة العلمانية التي تحارب الدين والفضيلة؟ ألم يكن الأمان لغير المسلمين في ظلِّ دولة الإسلام؟ ألم يكن في ظلِّها يُحمَىٰ العلم والعلماء ويزهو ويزدهر، ويعلو صوت الحق، وينحسِر صوت الباطل، وتنكَّس راياته.

متىٰ كان لنا عزَّة وصولة وجولة في ظل غير الإسلام؟

وللحقيقة الخالدة أقولها خالصة لوجه الله تعالى: إذا ضعف الإسلام في بلد فسوف يكون فريسة سهلة لأعداء الإسلام، وسوف تُحتل أرضه وتُنتهك حرماته، وتتغيَّر ديانته، ويندثر الإسلام فيه، والتاريخ خير شاهد ودليل، فما مِنْ دولة إسلامية أو جزيرة ضعف فيها الإسلام إِلَّا تحوَّلت إلىٰ دولة نصرانية أو يهودية أو شيوعية (لا دينية) أو مدنية علمانية، والذي يَعمل علىٰ تقوية الإسلام في أرضه وإعزازه بين أبنائه، هو العمل علىٰ إقامة الدين، والمحافظة عليه، وتقوية بنيانه وأتباعه.

❁ ❁ ❁

الرابعة عشرة: الخطاب الديني وقضايا الساعة:

• مثل قضية الإرهاب، وترسيخ المفهوم الصحيح له، وأن لصق تهمة الإرهاب في العصر الحاضر بالمسلمين من صَنعة الأعداء (١)، وإلَّا فلِمَ يتسابقون في التسليح النووي؟ وهو مصطلح استطاعوا به إقناع بعض الحكام ليكون مَلهاة لهم، وأداة في أيديهم يعملون تحت ستاره كيفما شاءوا.

• وهذا يدعونا إلىٰ المطالبة بحق الدول الإسلامية في الصناعات النووية، والحصول علىٰ التكنولوجيا النووية علىٰ الأقل لردع أعداء الله ﷻ، وفي الأغراض السلمية كالطاقة والعلاج، وخاصة بعد أنْ سقطت الشيوعية وتفرَّقت أوصالها، وها هي الرأسمالية والديمقراطية في طريقها إلىٰ الهاوية.

• فلسطين والدول الإسلامية المحتلة كالعراق، وأفغانستان والصومال والشيشان، هذا بجانب الدول التي كانت إسلامية وتغيَّرت فيها الأحوال. كالفلبين، ولبنان، والبوسنة وغيرها.

• قضايا العولمة والحرية والعقلانية والحداثة، ووضع أسس وضوابط حتىٰ لا تتحوَّل هذا الدعاوىٰ إلىٰ معاول هدم وتدمير.

• قضايا البيئة والسكان والبطالة وتحرير التجارة بين الدول العربية والإسلامية، والدعوة إلىٰ إقامة الاتحاد الإسلامي ليكون بديلًا لقيادة العالم من الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الأوروبي، فكل شعوب العالم تنتظر مَن يخلصها من نظم الحكم الدكتاتورية الجائرة، ومِنْ مفاسد الأخلاق وضياع الأجيال، وخاصة بعد أن سقطت الأقنعة المزيفة لكل من الشيوعية والرأسمالية.

---

(١) راجع كتاب: طارق خوري «التطرف المسيحي والإرهاب» كي تتعرف على حقيقة الإرهاب ومن وراءه.

• قضية التطور التكنولوجي ومحاولة تطبيق الديمقراطية وفرضها على العالم الإسلامي، كبديل لنظام الحكم في الإسلام (١).

هذا بجانب الفوضى وسوء النظم في شتى المجالات، والحرص على منع بعض شعائر الإسلام وأحكامه وحدوده، والقضاء على ختان الذكور والإناث، وإشاعة الفواحش، ومحاربة النقاب، وإشاعة الفوضى الجنسيَّة والحريَّة الإباحيَّة، ومساواة الذكر بالأنثى حتى في الميراث، ومنع الآباء مِنْ تأديب الأبناء، وإباحة الخمور والزِّنا، ومنع تعدُّد الأزواج، والتشديد على الطلاق بغلبة النساء وتمكينهم مِنْ رقاب الرجال وأموالهم، كل ذلك تحت بند الحرية الشخصيةوالعولمة.

ويؤيد ذلك وقائع العصر، مع تقديمهم لنا الديمقراطية والنظام الرأسمالي كأنظمة مثالية يجب الاحتذاء بها، وهذا يعني التقدم، ولكن ليس إلى الأمام؛ بل إلى الهاوية والانحطاط والتبعية، والقضاء على سمو الإسلام ورفعته، وهيهات هيهات؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠].

• قضية ثقافة إحياء الأمَّة مِنْ جديد ووحدتها وتماسكها وترابطها، واستغلال مواردها، وإزالة الحدود وإلغاء التأشيرات والفواصل والعقبات أمام وحدتها، والسماح بالزواج والمصاهرة من بعضهم البعض، فهذه أقوى روابط الوحدة بين الشعوب، وحسن التصرف في أموالها وثرواتها، وقضايا الأمية والصحة، والتعليم والأخلاق، وقضايا الأسرة والمرأة والشباب.

• قضية الخوف والجمود واليأس، وفوضى التسيُّب والتساهل، وثقافة التبعيَّة.

---

(١) راجع كتابنا: «الديمقراطية في ميزان الشرع».

ولماذا لا نملك زمام المبادرة؟ متىٰ ينتهي من حياتنا الوداعة والركون والاستسلام والنوم، ولا نستيقظ أو نفيق إِلَّا علىٰ الأحداث الجسام؟! ولماذا تُسَيِّرنا الأحداث، ولا نُسَيِّرها نحن؟

كل هذه القضايا التي تمسُّ مستقبل الأمَّة، وتعمل علىٰ رِّفعتها والرُّقيِّ بها، وبخطابها الديني، الذي له الدور البارز والأهم في ذلك كله.

❁ ❁ ❁

الخامسة عشرة: الخطاب الديني، وظاهرة الإرجاء في العالم الإسلامي:

تمثل ظاهرة الإرجاء في العالم الإسلامي أزمة كبيرة في الخطاب الديني.

والإرجاء يعني التواكل والخمول، والاعتماد علىٰ رحمة ربنا الغفور، والكسل والراحة، وعدم الاجتهاد، والتباطؤ في السعي والجهاد، والإرجاء يعني بطر الدين وكتمان الحق، وتقسيم الدين إلىٰ شِقَّيْنِ: **الأول**: يُدرَّس في شتَّىٰ وسائل وأماكن الخطاب الديني، ويتمثل في التركيز علىٰ عفو الله وأَنه غفور رحيم، وأن رحمته واسعة، واتكال الناس علىٰ ذلك، **والثاني**: لا يُتحدَّث فيه ولا يُتكلَّم فيه، ويتمثل في إغفال عقاب الله، وأَنَّ عذابه هو العذاب الأليم، وأن رحمته الواسعة لا يكتبها إِلَّا لمن يستحقها ويسعىٰ إليها، وأنَّ الله ﷻ خوَّف عباده في كثير مِنَ الآيات.

فكانت النتيجة مِنْ ظاهرة الإرجاء هي الجرأة علىٰ الله ﷻ، والمجاهرة بالمعاصي، وضعف مقام الله تعالىٰ وهيبته عند المسلمين، فضَعُف الوَازِعُ الديني، وتلاشي الورع والتقوىٰ والزهد، وحلَّت النكسات بالناس.

والله ﷻ جعل الأمر متوازنًا بين الخوف والرجاء، والخشية منه والطمع فيه، والترغيب والترهيب بما تستقيم به الأمور، وفضَّل العلماء تغليب جانب الخوف علىٰ

جانب الرجاء في الدنيا وعند الأعمال حتى يكون الخوف مِنَ الله تعالى مانعًا للعبد مِنَ الجرأة على معصيته، وجعل لهذا الخوف حدًّا حتى لا يصل إلى القنوط واليأس، وتغليب جانب الرجاء عند المرض والموت والأزمات؛ حيث يقِلُّ العمل ويضعُف البدن عنه، وجعل له حدًّا حتى لا يصل العبد إلى التواكل والاعتماد على الرحمة بدون عمل، ومِنْ سُنن الله تعالى: «**كَيف أَجُودُ بِرحمتِي عَلى مَن بَخِلَ بِطَاعَتِي**».

وقد أمر الله جلَّ وعلا بالعمل والسَّعْيِ في الأرض، والجهاد في سبيله. قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ**﴾، وجعل للرزق أسبابًا من السَّعيِ والتوكُّل على الله تعالى، والأخذ بالأسباب والثقة فيه سبحانه، وجعل للنصر أسبابًا مِنَ الإعداد والقوَّة، ورباط الخيل، وما يُتاح لدينا مِنْ سلاح وإمكانيات، وأمرنا بالإنفاق في سبيله وبذل النفس والمال، ثم التوكل والاعتماد عليه، ونصرة دينه حتى يَمُنَّ علينا بنصره لنا.

توازن متكامل بين الأسباب، والاعتماد والتوكل على مُسبِّبها جلَّ وعلا.

- ومن أخطر مظاهر الإرجاء في العالم الإسلامي تسييد المنافقين، واحترامهم، وإعلاء شأنهم، والخضوع لهم، والتصالح معهم، وترك جهادهم، وخاصة إن تولوا أمور المسلمين، وتشويه صورة أي معارض لهم من أهل السنة والجماعة.

❁ ❁ ❁

◘ مسك الختام:

نبيُّ الإسلام ﷺ كان خبيرًا بأحوال الناس فأعطاهم مِنَ العلم والعطف والتوجيه ما يناسب قُدراتهم وعقولهم.

- فهذا مؤمن تقيٌّ أخطأ وتخلَّف عن أمر مِنْ أوامر الله ورسوله، فكان

يناسبه الهجر مع صاحبيه «**خمسين يومًا**»، حتىٰ ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وكان ذلك بسبب تخلُّفهم عن غزوة تبوك بدون عذر، حتىٰ قبل الله سبحانه توبتهم، وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

● وهذا مسلمٌ مِنَ الأعراب يتبوَّل في مسجد الرسول ﷺ، وينتهك حرمة المسجد وقدسيَّته بفعله الشنيع، فزجره الصحابة وكادوا يوقعون به فيأتي الأمر مِنَ الحبيب ﷺ: «**دَعُوه (أي: لا تقطعوا عليه بولَه)، وَأَرِيقُوا عَلى بَوْلِهِ سِجْلًا مِن مَاءٍ**»(١).

● وهذا مسلمٌ نَذَرَ أنْ يصوم فلا يُفطِر، وآخر نَذَرَ أنْ يقوم الليل ولا يرقُد، وثالث نَذَرَ أنْ يعتزل النساء، فيعلِّمهم المُربِّي الكبير ﷺ، أنه يصوم ويفطر، ويقوم ويرقد، ويتزوج النساء فمَنْ رغب عن سُنَّته فليس منه.

● ورابع جاء يحمل السيف ليقتل به النبيَّ ﷺ، **حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: [اللهُ]**، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: [**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟**]. قَالَ: «كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ». فعاد إلىٰ قومه، وقال لهم: « قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ»(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري: ك: «الوضوء»، ب: «صب الماء على البول في المسجد» ح «٢٢٠»، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد، ح «١٤٤٠١»، والحاكم في «مستدركه» ك: «المغازي والسرايا» ب: «تشهد أنْ لا إله إلَّا الله وأني رسول الله» ح «٤٢٩٠»، وقال هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين.

وخلاصة القول:

- لا لتجديد الدِّين كما يراه المغرِضون، والمنافقون، والذين في قلوبهم مرض.
- نعم لتحسين أدائه، وحُسن عرضه، وتأهيل القائمين عليه؛ لأنَّ العلماء هم المعلِّمون للعلوم الشرعيَّة التي غفل عنها الناس، وانشغلوا عنها، يقومون بشرحها وتوضيحها وتقريبها إلى عقول الناس، وليس غيرهم.
- أنتم أعلم بشئون دنياكم، وهذا هو المجال الحقيقي للتجديد والتطوير، والدِّين يحث على ذلك ويؤيده.
- ارفعوا أيديَكم عن الدِّين، ودعوه لأهله، وأغلقوا المنافذ أمام الدُّخلاء، وعلماء السوء، والرويبضة، والرءوس الجهَّال، وأصحاب البدع والأهواء.
- بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء.
  - الذين يتمسَّكون بالسُّنَّة عندما يتركها الناس.
  - الذين يُصلِحون ما أفسده الناس.
  - الذين يدافعون عن الحق عندما يخذله الناس.

[لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلى الحَقِ لَا يَضرُهُم مَن خَالَفَهُم إِلى قِيامِ السَّاعةِ].

[مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا في غَنْمٍ بِأَفْسَدِ فِيهَا مِنْ حِرصِ المَرءِ عَلى المَالِ وَالشَّرفَ لِدِينِهِ].

❁ ❁ ❁

◘ تجديد الدِّين بين ضروريات العصر ومتطلبات النصر:

مما سبق يتَّضح لنا أنَّ ضروريات العصر تحتاج إلى الدِّين الصحيح القويم ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]. القرآن بتمامه وجماله وبيانه بدون كتمان كما فعل المغضوب عليهم، وبدون تحريف كما فعل الضَّالون. وبدون الدِّين لا مكانة للمسلمين في الدنيا، ولا بين الناس. كما قال **ابن خلدون** رحمه الله: « إنَّ العرب قوم لا تقوم لهم قائمة إِلَّا بِدِينٍ الإسلام ».

وضروريات العصر تحتاج إلى تجديد الدنيا وتطويرها وتحديثها بما لا يتنافى مع الدِّين، وكذلك تحتاج إلى تحسين وتطوير الأداء التطبيقي لهذا الدِّين، وطريقة العرض الجيدة والشيِّقة والمناسبة له، وملاءمة هذا الخطاب ومواءمته للسامعين والحاضرين على تعدُّد ثقافاتهم واختلاف آرائهم ومذاهبهم.

❁ ❁ ❁

◘ ومتطلبات النصر تحتاج إلى:

١- الإيمان بالله عز وجل؛ لأنَّ نصر الله لا يكون إِلَّا للمؤمنين أتباع الرُّسل، وليسوا أعداءَ الرُّسل وأتباع الهوى؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر].

والحقيقة الخالدة السَّاحقة: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

٢- إعداد العدَّة: مِنْ قوة الرمي، والرامي الجيد، والتدريب الجيد، والسلاح القوي الفعَّال؛ لذلك نهى النبي ﷺ عن القوس الفارسية؛ لأنها مزخرفة مزركشة وأقل جودة وصلابة، وذلك على حساب فعاليتها وقوتها، وأمر بالقوس العربية

لأنها أكثر صلابة ومتانة.

وإعداد العدة يشمل كل إمكانيات الأمة من العلماء والرجال، والأموال والعتاد، والأفكار، والثروات، وغيرها.

٣- اليقظة الدائمة على مواضع القوة والسلاح، والحذر مِنْ مَكْر الأعداء. قال تعالى: **(وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً)** [النساء: ١٠٢].

٤- تجنُّب الفُرقة والخلاف، الناتجة من تعدد الأحزاب والفرق؛ فليست هذه ظاهرة صحيحة أو حضارية؛ إنما هي مِنْ مَكْر الأعداء لتسخير الشعوب وإضعاف قوتها ووحدتها في مواجهة الباطل؛ قال تعالى: **(أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾)** [الشورى]. وقال الله تعالى: **(وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا)** [آل عمران: ١٠٣].

وقال الله تعالى: **(وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾)** [المؤمنون].

والقاعدة النبويَّة: [مَنْ جاءكم وأمركم واحد (يريد فرقتكم) فاقتلوه].

٥- الحذر مِنْ فِتَن الدُّنيا ومُغرياتها والركون إليها والاطمئنان بها؛ مما يولِّد الجُبن عند القتال، والخوفَ مِنَ الأعداء؛ قال تعالى: **(إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾)** [يونس].

٦- تجنُّب الظلم، والبُعد عن المعاصي، ومحاربة الفحشاء والمنكر، وإقامة

العدل؛ فدولة الظلم ساعة، ودولة العدل إلى قيام الساعة.

٧- الحرص على ما ينفع الناس ويعود على مصالحهم؛ لأنَّ الزَّبَد يذهب جُفاءً، وما ينفع الناس يمكث في الأرض، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد].

وقال رسول الله ﷺ: [احرِصْ عَلى مَا يَنْفَعُكَ][1].

٨- الهمَّة والنشاط والتوكُّل على الله تعالى؛ فيستحيل أنْ يأتي نصر الله للكُسالى والقاعدين والمتواكلين.

٩- الأخذ بالأسباب، وعدم الاعتماد عليها وحدها، وأنْ تكون الدنيا بالنسبة لنا مزرعة للآخرة، وأن تكون الآخرة دائمًا نصب أعيننا فهي خيرٌ وأبقى، وهي للذين لا يريدون عُلوًّا في الأرض ولا فسادًا.

١٠- الاهتمام والالتفات إلى سُنن الله تعالى في الكون، والتي بيَّنها لنا ووضَّحها في القرآن والسُّنَّة، كسُنَّة ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وكسُنَّة التدويل: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠]، وغيرها مِنَ السُّنن التي لا تتبدَّل ولا تتغيَّر.

❁ ❁ ❁

▫ عدل وعدل:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: عدولًا، وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [الأعراف]؛ فهذا فريق

---

[1] سبق تخريجه.

اختصه الله تعالىٰ بالهداية والعلم وإقامة الحق والعدل والقسط بين الناس - اللهم اجعلنا منهم -.

وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام]؛ وهذا فريق آخر كفر بالله تعالىٰ، وعدل عن الحق، واتَّبعَ هواه - اللَّهم لا تجعلنا منهم -.

فإيَّاك أن تعدل بنفسك عن الحق - الذي أراد الله تعالىٰ به هداية الناس وصلاحهم - إلىٰ الباطل.

والذين كفروا عدلوا بين الله تعالىٰ، أي ساووا بينه وبين الشركاء الذين عبدوهم مع الله تعالىٰ، وجعلوهم شركاء ووسطاء وشفعاء.

❁ ❁ ❁

▫ اقتراح :

وفي نهاية هذا البحث أقترح تكوين مجلس مِنَ الحكماء، يشمل: العُلماء الربانيِّين المحبوبين مِنَ الناس، والمشهورين بالعلم والتَّقوىٰ، يشاركهم العلماء التربويون وعلماء علم النفس الإسلامي، من علماء البلاد الإسلامية **كمصر، والسعودية، وباكستان، وأندونسيا وماليزيا، وتركيا**، وغيرها، ومندوبون عن الأقليات والجاليات الإسلامية في أمريكا وأوروبا وآسيا واستراليا وأفريقيا.

- وتكون مهام هذا المجلس بحث قضايا المسلمين المحلية والدولية، بعيدًا عن الحكومات، وله أحقِّية الاجتهاد فيما استجدَّ مِنْ أمور، ويجب أنْ يكون متميِّزًا عن المجامع الفقهيِّة الرسميَّة التقليديَّة، وعن المؤتمرات الإسلامية التي لا تحل ولا تربط، ولا تملك إلَّا بيانات الشجب والاستنكار، وله حق مراجعة الفتاوىٰ المتعدِّدة والمنتشرة في البلاد الإسلامية، وحسم الخلافات المذهبيَّة والقضايا

العصريَّة، وأنْ يكون الله ﷻ من وراء القصد، ولعلَّه اللّبنة الأولىٰ في الخروج مِنْ أزمة الفرقة والتعدُّديَّة المذهبيَّة والفكريَّة، وخطوة نحو حَلِّ مشاكل الجوار بين الدول الإسلامية.

- وأهم من ذلك كلِّه العمل علىٰ إزالة العراقيل والعقبات أمام دول المسلمين للوحدة والاعتصام والاتحاد حول إقامة الدِّين، وإصلاح الدنيا، وتحقيق العزّة والسيادة التي أرادها الله ﷻ لنا، وأن يُحيي في الأمة باعث وروح الجهاد في سبيل الله ﷻ؛ حتىٰ نتمكن مِنْ طرد المحتلين المعتدين، وإقامة الدِّين حتىٰ يدخل في كل بيت مدرٍ وحجر ووبر، بعزِّ عزيز يعزُّه الله ﷻ بهذا الدِّين، أو بذُلِّ ذليل يذلُّه الله تعالىٰ، ويكون بذلك نواة لعودة الخلافة الإسلامية الراشدة.

- كذلك إنشاء محكمة شرعية دولية تُقيم العدل بين الناس والدول والشعوب، وتقضي بالحق الذي أراده الحق ﷻ، وارتضاه للناس، وتكون خير بديل تتطلع إليه الأمم والدول والشعوب الإسلامية اليوم.

قال تعالىٰ: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣].

وما توفيقي إِلَّا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب.

وكتب

أسامة بن محمد بن بدوي البراجة

تم الانتهاء منه في غرة المحرم لعام ١٤٣٨

من هجرة سيد المرسلين محمد ﷺ

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁